

البداية والنهاية

فلازم القصر مدة طويلة خوفا على نفسه ثم عن له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش وأمره أن يطالعه بجميع الأمور صغارها وكبارها وقعة السودان .

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخلافة الحبشي وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك واجتمعوا قريبا من خمسين ألفا فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين فقتل خلق كثير من الفريقين وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة وجاءهم منه سهام فليل كان ذلك بأمر العاضد وقيل لم يكن بأمره ثم إن أخا الناصر نورشاه شمس الدولة وكان حاضرا للحرب قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره أمر بإحراق منظره العاضد ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ومن بلادكم فقوي الشاميون وضعف جأش السودان جدا وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة التي فيها دورهم وأهلهم بباب زويلة فأحرقها فولوا عند ذلك مدبرين وركبهم السيف فقتل منهم خلقا كثيرا ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك وأخرجهم إلى الجيزة ثم خرج لهم شمس الدولة نورشاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضا ولم يبق منهم إلا القليل فتلك بيوتهم حاوية بما ظلموا وفيها افتتح نور الدين قلعة جعبر وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي العقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه وفيها احترق جامع حلب فجدهه نور الدين وفيها مات ماروق الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب وممن توفي فيها من الأعيان .

سعد □ بن نصر بن سعيد الدجاني .

أبو الحسن الواعظ الحنبلي ولد سنة ثمانين وأربعمائة وسمع الحديث وتفقه ووعظ وكان لطيف الوعظ وقد اثنى عليه ابن الجوزي في ذلك وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فنهى عن التعرض لذلك وأنشد .

... ابي الغائب الغضبان يا نفس ان ترضى ... وأنت الذي صيرت طاعته فرضا ... فلا تهجري من لا تطيقين هجره ... وإن هم بالهجران خديك والأرضا ... وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب ... ادفع بصبرك حادث الأيام ... وترج لطف الواحد العلام ... لاتيأسن وإن تضايق كربها ... ورماك ريب صروفها بسهام